الخطاب الصّوفيّ في منظومة القدسية لعبد الرحمن الأخضري (ت:983هـ)
-مقاربة تناصيّة-

MYSTICDISCOURSEIN THE POEM OF THE -ALQADSIAT OF ABDUL RAHMAN AKHDARI-INTERTEXTUALITYAPPROACH

امحمد سحواج*

جامعة حسيبة بن بوعلي -الشلف-(الجزائر) m.sahouaj@univ-chlef.dz

تاريخ الإرسال: 2019/12/09 تاريخ القبول:2021/03/26 تاريخ النشر: 2021/06/01

ملخص:

ليس النظم الصّوفي حيزًا منغلقًا على نفسه، وإنّما هو امتداد وتفاعل لسياقات مختلفة. وعلى هذا الأساس، يمكن أنّ نعتبر منظومة "القدسيّة" لعبد الرحمن الأخضري هي متعدد صّوفي أو تفاعل لنصوص متنوعة المشارب، إذا استطاع الناظم استحضارها ودمجها في قالب نظمي خاص.

نحاول من هنا أن نقرأ منظومة القدسية في علاقاتها بالنّص القرآني والحديثي والتراث الصّوفي، مستعينين بما يسمى في النقد المعاصر بمصطلح "التناص". L'interyextuality

الكلمات المفتاحية:التنّاص؛ القدسية؛ عبد الرحمن الأخضري؛ القصيدة؛ النّص الصوفي.

***ABSTRACT* :**

Mysticpoetry isnotaclosed space on itself, but rather an extension and interaction of diffrent contexts. On this basis we can consider the poem ofthe- alqadsiat- of Abdul Rahman Akhdari as a multi- mystical or interplay of texts of various stripes if the poet can adoptit and incorporate itintoaspecial poetic form.

From here we try to read the- alqadsiat in relation to the aquranic, Hadith awd sufi based on the so called contemporary criticism of the term « intertextuality ».

Keywords: *Intertextuality; Alqadsiat; Abdul Rahman Akhdari; poém; mystic text.*

1. مقدمة:

عبر النقاد منذ القدم عن التّناص كظاهرة تحكم الكتابة الشعرية والكلام مطلقا، وذلك ما أشار إليه أحمد بن أبي ظاهر (ت: 385هـ) إلى أن الكلام العربيّ (ملتبس بعضه ببعض، وآخذ أواخره من أوائله، والمبتدع منه والمخترع قليل إذا تصفحه وامتحنته، والمحترس المتحفظ المطبوع بلاغة وشعرا من المتقدمين والمتأخرين لا يسلم أن يكون كلامه آخذا من كلام غيره، وإن اجتهد في الاحتراس (...) ومن ظن أن كلامه لا يلتبس بكلام غيره فقد كذب ظنه وفضحه امتحانه)[1].

وأما التّناص (**lintertextuality**) كمصطلح حديث فهو "تعالق نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة"، وصحيح كذلك أن النصوص الشعرية كما في بعض النظريات الأدبية، ماهي إلا نتاج لحوار نصوص غائبة متفاعلة ومتلاقحة، حيث أصبح ظاهرة لافتة للنظر بخصوص مجموعة من النصوص أو نص معين، كماهي الحال بالنسبة لمنظومة القدسية لعبد الرحمن الأخضري، فهي ليست نصا منغلقا على نفسه، بل هو امتداد وتفاعل لسياقات مختلفة"[2].

*المؤلف المرسل

وعلى هذا الأساس، يمكننا أنّ نعتبر منظومة القدسية هي متعدد صوفي لنصوص متنوعة المشارب، إذ استطاع عبدالرحمن الأخضري (ت: 983ه) استحضارها واستثمارها في بناء نص القدسية.

ويلاحظ من خلال قراءتنا لنص القدسية، أن عبد الرحمن الأخضري كان يتجاوز نصوصا أخرى، فكان يستدعيها بين الفينة والأخرى لإنتاج دلالات جديدة أو لأداء وظائف تواصلية ضمن سياقها، وقد تنوعت هذه النصوص مابين القرآن الكريم، والحديث الشريف، والتراث الصوفي.

2.عبد الرحمن الأخضري حياته، وآثاره

1.2 حياته:

نشير إلى الملامح الكبرى لترجمة عبد الرحمن الأخضري(ت:983ه)،والكشف عن علاقاته بالتصوّف والمتصوّفة، لما ذلك من الصّلة العميقة بالعنوان.

فهو: عبد الرحمن بن محمد الصّغير بن محمد بن عامر الأخضر، المعروف بالأخضري وتعود نسبته إلى الصحابي الجليل العباس بن مرداس السّلمي، نشأ في الدواودة من أولاد رياح. ولم يستطع أحد من المترجمين له أن يحدد تاريخا مضبوطا لولادته.

وقد رجّح خير الدين الزركلي إلى أن ميلاده في سنة (918ه/1512م). في حين ذهب عبد الرحمن الجيلالي أن تاريخ مولده (920ه/1514م)، أما عادل نويهض فقال أنه ولد عام (910ه/1504م).

وتلقى عبد الرحمن الأخضري المبادئ الأولى في علوم العربية من نحو وأدب من والده محمد الصّغير بن محمد بن عامر.

أما الشيخان اللذان كان لهما أكبر الأثر في توجيهه نحو الاهتمام بالتصوف السنّي منها محمد الصّغير ومحمد بن علي الخرّوبي (ت:963ه)،الذي تتلمذ على يد احمد الزروق.

ولعلّ ما يبرهن على هذا التأثير الصّوفي السنّي ما ذكره الأخضري في منظومته القدسية حيث قال:

171-وَقَالَ بَعْضُ السَّادَةِ الصُّوفِيَّهْ
مَقَالَةً صَادِقَةً جَلِّيَهْ

172-إِذَا رَأَيْتَ رَجُلاً يَطِيرُ
أَوْ فَوْقَ مَاءِ البَحْرِ قَدْ يَسِيرُ

173-وَلَمْ يَقِفْ عِنْدَ حُدُودِ الشَّرْعِ
فَإِنَّهُ مُسْتَدْرِجٌ وَبِدْعِي

174-وَاعْلَمْ بِأَنَّ الخَارِقَ الرَّبَانِي
لَتَابِعُ السُّنَةِ وَالقُرْآنِ

175-وَالفَرْقُ بَيْنَ الإِفْكِ وَالصَّوَابِ
يُعْرَفُ بِالسُّنَةِ وَالكِتَابِ

176-وَالشَّرْعُ مِيزَانُ الأُمُورِ كُلِّهَا

وَشَاهِدٌ لِأَصْلِهَا وَفَرْعِهَا

وعلق السعيد الورثلاني(ت:1193هـ) على هذه الأبيات،بقوله:"لابد للمريد أن يجعل الشرع ميزاناً بين يديه،لأنه هو ميزان الأمور كلها،وبه يعرف الأصل والفرع والصَحيح والفاسد والحق والباطل"[3]، ويقول:"حتَى وإن ظهرت الكرامة على يد البدعي المخالف لسنَة النبيَ-صلى الله عليه وسلم-،فهي استدراج ومكر وخديعة"[4].

ومن هنا، استطاع عبد الرحمن الأخضري أنّ يمثل نقاء التصوف الذي يستلهم مادته ووظيفته ومرجعه ومقصده من الكتاب وسنة.

و يُعدّ عبد الرحمن الأخضري ممثلاً للتيار المناهض للتصوف الفلسفي، ومن العاملين على تسنين أغراضه وإبعاد البدعة عنه[5]، حيث نجده يُنكر بشدة على أهل الصّوفية المبتدعين المخالفين للسنّة، فيقول[6]:

79-مِنْ شُرُوطِ الذِّكْرِ أَنْ لاَ يَسْقُطَ

بَعْضُ حُرُوفِ الإِسْمِ أَوْ يُفْرَطَ

80-فِي الْبَعْضِ مِنَ مَنَاسِكِ الشَّرِيعَهْ

عَمْداً فَتِلْكَ بِدْعَةٌ شَنِيعَهْ

81-وَالرَّقْصُ وَالصُّرَاخُ وَالتَّصْفِيقُ

عَمْداً بِذِكْرِ الله لَا يَلِيقُ

وبهذه الأبيات يكون عبد الرحمن قد تطرق إلى التصوف المبني على قواعد الشريعة (الكتاب والسنة)،واستبعاد كل الممارسات والطقوس غير الملتزمة بالشرع؛ أي البدع والتي أنكرها في منظومة القدسية،منها:إسقاط بعض حروف الاسم الجلالة "الله"، والرقص والصراخ والتصفيق والتمزيق،والتحريق أثناء الذكر،"وهذه بدع شنيعة يكفى في شناعتها مخالفة السَنة النبويَة"[7].

ويذكر عبد الرحمن الأخضري في الأبيات السابقة بذكر الأوصاف القبيحة والبدع الشنيعة، ومنها:

1-ذكر الله بتغيير تارة بالزيادة وتارة بالنقصان،وتارة على وجه الاستهزاء والسخرية.

2-البكاء والصَياح كنبح الكلاب.

3-الرقص والشَطح كشطحات الحمير.

2.2 آثاره:

ذكر السعيد الورثلاني(ت:1193هـ) أن عبد الرحمن الأخضري ألف في مختلف العلوم النقلية والعقلية شعرا ونثرا، وقد زادت مؤلفاته على الثلاثين ، منها:

1- منظومة في علم الفلك سماها بـ"السراج المنير في علم الفلك" عدد أبياتها خمسمائة بيت.

2- أزهر المطالب في علم الهيأة والأفلاك والكواكب .

3- منظومة في علم المنطق الصّوري مع شرحه ، عنونها بـ"السلم المرنوق".
4- منظومة في علمي الحساب والفرائض مع شرحها، سماها "الدرّة البيضاء"، عدد أبياتها خمسمائة بيت.
5- منظومة في البلاغة عنونها بـ"الجوهرة المكنون في ثلاثة فنون"(المعاني، والبيان والبديع) مع شرحها.
6- منظومة لكتاب الأجرومية في النحو سمّاها "الدرّة البهية ".
7- منظومة في علم الحساب.
8- شرح العقيدة الصغرى في التوحيد للشيخ السنوسي، وعنونها بـ"الفائدة الغراء في التوحيد".
9- مختصر في فقه العبادات على مذهب الإمام مالك بن أنس.
10- منظومة القدسيّة في الردّ على المبتدعين عدد أبياتها ثلاثمائة وستة وأربعين بيتا.
11- اللامية في المدح النبوي ، وتضم مائتين وأربعة وخمسين بيتا.
12- الرائية في المدح النبوي عدد أبياتها أربعة وستون بيتا.
13- التائية في المدح النبوي عدد أبياتها ثلاثون بيتا.
14- الرائية في مدح سيدي خالد وضمت أربعين بيتا[8].

وتوفي عبد الرحمن الأخضري في عام (983ه/1575م)[9]

3.التّناص في الخطاب الصّوفي في منظومة القدسيّة لعبد الرحمن الأخضريّ:

فلفظة "التّناص" لم ترد في المعاجم العربيّة القديمة؛ ولكنّ يرجع أصلها اللغوي إلى مادة "نصص"، وقد أسهب ابن منظور في شرح هذه المادة اللّغوية،ويمكننا توضيح دلالاتها كما وردت في لسان العرب بهذه التّرسيمة الآتية:

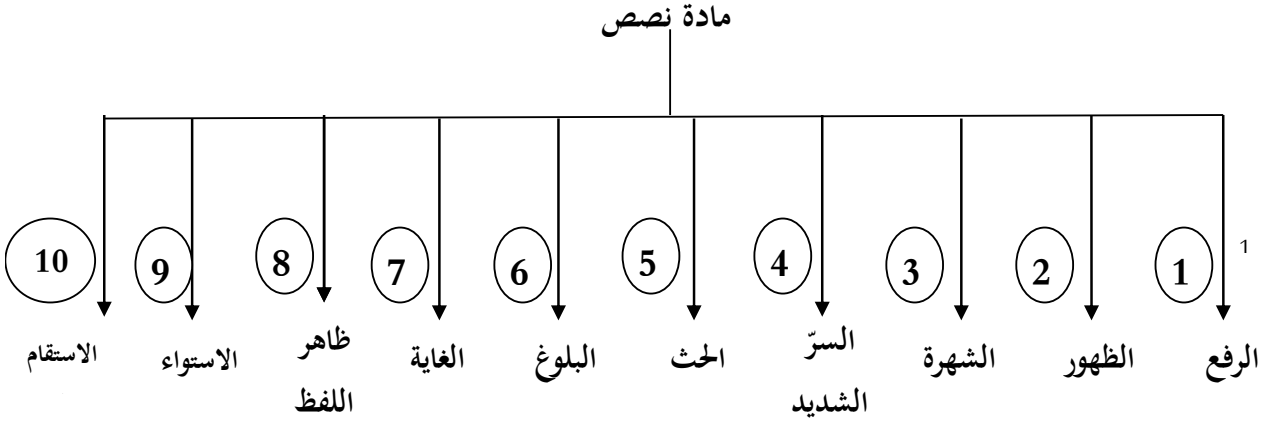

الشكل1. عنوان الشكل(نموذج عن الشكل1)

ومن هذه الترسيمة نخلص إلى فكرة عامّة، وهي أنّ المفهوم اللغوي للتّناص لا يمرّ إلاّ بالعودة إلى المفهوم اللغوي للنص، وهذا ما يؤكده تيفان سمولت " TaiphaineSamoyault" في مقولته والّتي يقول فيها:"النّص والتناص هما قطبان لا يمكن الفصل بينّهما"[10*].

1.3التّناص القرآني في منظومة القدسيّة:

يعد القرآن الكريم النّص المركزي المؤسس للبنيّة الثّقافية لمنظومة "القدسيّة". كان معناها الصّوفي أحوج إلى النّص القرآني، وهذا لإكساب معرفتها الصّوفية القبول والحجة، فمن اقتباساته القرآنية، قوله:[11]

02-بِحَمْدِ رَبِّ العَالَمِين أَبْتَدِي

ثُمَّ صَلَاتِهِ عَلَى مُحَمَّدِ

يتناص هذا البيت مع قوله تعالى :﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[12].

استثمر عبد الرحمن الأخضري هذه الآية وما تحيل عليه من أن محمدا صلى الله عليه وسلم "هو الواسطة بين الله وبين العباد ،وجميع نعم الواصلة لهم ،التي أصلها الهداية للإسلام ،إنمَا هي بركاته صلى الله عليه وسلم ؛وعلى يديه وتوسلاً في قبول الحمد وإتمام المراد"[13]

واستخدم عبد الرحمن الأخضري للقرآن الكريم –أيضا- في موضع آخر ، فقال:[14] :

228-أَفْلَحَ وَالله امْرُؤٌ زَكَّاهَا

يَوْماً كَمَا قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا

ورد هذا البيت في الآية القرآنية،في قوله تعالى:﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾[15]، ففي هذا البيت تناص مع النصَ القرآني عن طريق البنية اللفظية التي حافظ على هندستها،وعلى مستوى البنية الدلالية فيها،أيَن حاول أن يبين لنا مصطلح التزكية وهو تطهير النفس من الذنوب والشهوات.

والظاهر أنَ عبد الرحمن الأخضري كان مفتوناً بالقرآن الكريم ومصطلحاته ومعانيها،فراح يستثمرها في سياقات أخرى ضمن بناء منظومة "القدسية"،مثل قوله[16]:

13-فَمَنْ يَكُنْ لِنَفْسِهِ مُكَبْكِباَ

عَلَى هَوَاهَا لَمْ يَزَلْ مُحْتَجِباَ

ورد هذا البيت في سياق الحديث عن هوى النفس؛فهو عنده أحد الحجب المانعة من ظهور المغيبات وانطباعها في القلب، وهو حال الكشف والمشاهدة.

وبهذا يكون عبد الرحمن الأخضري قد اقتبس البنية العميقة لمصطلح الهوى الموظف في هذا البيت من نص الآية القرآنية:﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى**﴾[17].

ألبس عبد الرحمن الأخضري المصطلح الصَوفي عدة دلالات ومعاني من القرآن الكريم ،يقول عبد الرحمن الأخضري[18]:

115-فَأَيْنَ مَنْ أَلْقَى نِعَالَ النَّفْسِ

إِذَ حَلَّ فِي شَاطِئِ وَادِ القُدْسِ

116-وَانْسَ النُّورَ بِذَاكَ الوَادِي

يَفُوزُ مِنْ شَجَرَةِ الْمُنَادِي

117-إِنَّكَ بِالوَادِ المُقَدَّسِ طُوَى

فَيَكْتَسِي مِنْ حُلِلِ النُّورِ قُوَى

يشرح السعيد الورثلاني (ت:1193ه) هذه الآبيات، فيقول:"إن الشخص متوجه لله تبارك وتعالى والقاصد إليه إذا نزل وحلَ بمقامات القرب وترك علائق النفس، واشتغل بما هو أعظم من ذلك وهو الوالى تبارك وتعالى؛لكون وادي القدس وهو كناية عن محل القرب وإبصار النور حين تجلَى الحق في ذلك الوادي،وهو أثر الوارد الذي يرد عليه من قبل الحقَ سبحانه وتعالى"[19].

وظف الوادي المقدس وحلل النور ليبين المصطلحات الصَوفية الآتية:الاتَصال والقرب والمشاهدة،نور الجلال والجمال.

ويكون عبد الرحمن الأخضري قد استعان بالآيات القرآنية الآتية:﴿**إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (10) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (11) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12)**﴾[20]،ويقول أيضا في مقام آخر:

120-وَرُبَّمَا خَامَرَهَ التَّمَلِّي

فَتَعْتَرِيهِ صَعْقَةُ التَّجَلِي

شرح هذا البيت السعيد الورثلاني (ت:1193ه) فقال:إنّ إذا تجلَى الحق سبحانه وتعالى على قلب المريد بأنواع التَجليات،والحالة أنَ قلبه لا يطيق حمل ذلك،لأن الخلق لا بقاء له مع الحق أصابته سآمة وملل عن حمل ما ورد عليه،فعترته صعقة التَجلي"[21].

وتجلّت لنا المصطلحات الصَوفيَة ودلالاتها،التَي أراد عبد الرحمن الأخضري أن يوصلها إلى المريد،وهي: الفناء والبقاء والصَعق والتَجلى.

ويظهر أن عبد الرحمن الأخضري سار في سياق الآية القرآنية:﴿ **وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ** (143)﴾[22]،وبذلك يكون قد عمل على تحويل سياق النَص القرآني المتناص معه فجعل:"من تجلَى ربه" حالاً أشرقت منه أنوار الحق قلب المقبل عليه،ومن"خر موسى صعقا"،فناء للخلق وبقاء للحق تعالى.

ويستعين أيضا بقصة موسى عليه السلام ورؤيته لله بجبل الطّور والتي تشكل جزءًا من الثقافة والمعرفة الإسلاميّة، وجانبًا من المعتقدات الصّوفية، وطور هو مصطلح صوفيّ يحيل على محطة بارزة من محطات السّفر الصّوفي من عالم المادة نحو عالم الروح المطلق(النور، فهو مقام تحول إلى حال بخصوصية عرفانية).ويظهر ذلك في قوله:[23]

64-ما حلَّ مِنْهَا بِسَنام الطّورِ

إلاَّ امرُؤ مُؤيَّدٌ بالنُّورِ

يجعلنا الأخضري من خلال سياق البيت أمام "تحول دلالي"،وهو أن الطور الجبل الذي كلم عليه موسى-عليه السلام-تحول إلى مصطلح صوفي يمثل مقاما رفيعا لا يصل إليه إلاّ وهبًا من الحق تعالى(النور).

وقد نذهب بتأويل هذا البيت إلى أبعد مما سبق،إذا استبصرنا المرجعيَة الصَوفية؛فنقول إن رؤية الله هي رؤية نورانية ما دامت قد صدرت عن نور من الله، والخلفيّة هنا هي مفهوم الحقيقة الإلهية في الإنسان[24] عند محي الدّين بن عربي* (ت:638هـ).

وظف عبد الرحمن الأخضري جل مصطلحاته الصَوفية-في منظومة "القدسية"-من الألفاظ التيَ جاء بها القرآن الكريم، وأكدتها الأحاديث النبوية الشريفة، ومنها: الذكر، الإنابة والخوف، والزهد والإخلاص، والتقوى،والهوى، والصَبا، والكشف، والتَجلي، والصدق والنور والطور،والقلب، واللوح، والمجاهدة، والظاهر والباطن،والمراقبة، والقرب، والحال والمقام والحقيقة، والشريعة.

وسنجمل أهم المصطلحات الصوفية المستعارة من القرآن الكريم في الجدول الآتي:

المصطلح الصّوفي عند عبد الرحمن الأخضري	الإحالة القرآنية (السورة ورقم الآية)
التّجلي	﴿**وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (9) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (10) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (11) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى** (12)﴾سورة طه.
الهوى	﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى**﴾سورة النازعات.
الصّبا	﴿**وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ**(94)﴾سورة يوسف.
الولي	﴿**فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** (282)﴾سورة البقرة.
الإنابة	﴿**مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ** (33)﴾سورة ق.

التّزكية	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10)﴾سورة الشمس.
الكشف	﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾سورة الشمس.
الحضرة	﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (40)﴾سورة النحل.
المجاهدة	﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (69)﴾سورة العنكبوت.
التقديس	﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (102)﴾سورة النحل.
الصعق	﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (143)﴾سورة الأعراف.
التقوى	﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (37)﴾سورة الحج.
الخوف	﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (46)﴾سورة الرحمن.
الرجاء	﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (16)﴾سورة السجدة.
النّفس	﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (53) ﴾سورة يوسف.
الروح	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85)﴾سورة الإسراء.
الاستقامة	﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (112)﴾سورة هود.
المقام	﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ(14)﴾سورة إبراهيم

الزّهد	﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (20)﴾سورة يوسف.
الذّكر	﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (152)﴾سورة البقرة.
الهوى	﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40)﴾سورة النازعات.
–المسافر	﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (184)﴾سورة البقرة.
الإخلاص	﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (5) ﴾سورة البينة.
اللّوح المحفوظ	﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (22)﴾سورة البروج.
الفقر	﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (15)﴾سورة غافر.
الطور	﴿وَالطُّورِ (1) ﴾سورة الطور.
الصبر	﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (46)﴾سورة الأنفال.
الشريعة	﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (13)﴾سورة الشورى.
المشاهدة	﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (198)﴾سورة البقرة.
الحقيقة	﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (42)﴾
المراقبة	﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (19)﴾سورة غافر.
القرب	﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (89)﴾سورة الواقعة.
الإحسان	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (90)﴾سورة النحل.

يمدنا هذا الجدول بمجموعة من المعطيات منها:

1- اكتسى القرآن الكريم أهمية بالغة لدى عبد الرحمن الأخضري في ما يرتبط بتأسيس المرجعيات والدلالات.

2- استعار عبد الرحمن الأخضري الجهاز المصطلحي من النص القرآني، لأنه أنسب الوسائل وأقربها إلى نفس المتلقي.

أسس عبد الرحمن الأخضري جهازه الاصطلاحي على الخطاب القرآني، سعيا منه إلى نقل هذه المصطلحات ودلالاتها القرآنية إلى المريد بغية إرشاده وتوجيه إلى مقاصد هذه التجربة السّلوكية.

2.3 التناص الحديثيّ:

إنّ صلة التصوّف بالحديث لا تحتاج إلى حجة وبرهان، فالمتصوّفة أهل حديث كغيرهم من عامة المسلمين وخاصتهم إذ يحفظونه،ويتدارسونه في مجالسهم[25].

وعليه اكتسى الحديث النبويّ الشّريف أهمية بالغة لدى عبد ارحمن الأخضري فيما يرتبط بتأسيس الأصول ووضع اللّبنات وممارسة هذا النّظم، فهو لم يستغن عن استحضار الأحاديث النبويّة في منظومته القدسيّة، من أجل دعمه بالحجج دفاعاً على مبادئه الفكريّة والعقديّة، ومنها:

1- تسنين التصوّف وإنكاره للمبتدعين من أهل التصوف والمخالفين للسنّة، وفي ذلك يقول:

295-فَهَذِهِ طَرِيقَةُ الرِّجَالِ

وَآلَ أَمْرُهَا إِلَى الزَّوَالِ

298-قَدْ أَحْدَثُوا طَرِيقَةً بِدْعِيَّهْ

وَرَفَضُوا طَرِيقَةَ الشَرْعِيَّهْ

299-يَا عَجَبًا لِرَافِضِ الشَّرِيعَهْ

وَيَدَّعِي دَرَجَةً رَفِيعَهْ

300-وَكَيْفَ يَرْقَى سُلَّمَ الحَقِيقَهْ

مُخَالِفٌ لِسَيِّدِ الخَلِيقَهْ

فقد ذكر عبد الرحمن الأخضري عبارة "طريقة الرجال"،ويعني بها "طريقة النبيَ-صلي الله عليه وسلم-الجامعة بين الحقيقة والشريعة جمعاً كاملا"[26].

كما حاول الشاعر الوقوف على أهم مرتكزات تصوفه،وهي:

أ-الشريعة وهي الالتزام بالعبودية ومعرفة السلوك إلى الله.

ب-الحقيقة وهى دوام النظر إليه.

2- الاقتداء بأفعال السّلف الصّالح، لذلك جعل طريقته مبني على أكل الحلال وإتباع السنّة والصّبر والزّهد وفعل الفروض، فقال:

151- عُجِبْتُ مِنْ مُسَافِرٍ يَشْكُو الظَّمَا

وَحَوْلَهُ عَذْبُ فُرَاتٍ أَيُّ مَا

152- مَا حَلَّ وَفْدُ الرَّاصِدِينَ مَرْصَدَا

وَرَامَ حِزْبُ الوَارِدِينَ مَوْرِدَا

154- وَ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَ تَقْصِيرِ الأَمَلْ

وَفِكْرَةِ القَلْبِ وَكُثْرَةِ العَمَلْ

155- وَ الخَوْفِ وَ الذِّكْرِ بِكُلِ حَالِ

وَالصَّبْرِ وَالقُوتِ مِنَ الحَلَالْ

156- وَ فِعْلِ أَنْوَاعِ المعَامَلَاتِ

وَفِعْلِ أَزْكَانِ المجَاهَدَاتْ

157- مِنْ بَعْدِ تَحْصِيلِ فُرُوضِ العَيْنِ

عِلْمًا وَأَعْمَالًا مِنْ غَيْرِ مَيْنِ*

3- الجمع بين الشّريعة والحقيقة في إطار التلازم والتكامل المفيدين للطريقة، ومنه قوله:

322- وَزَنْتُهُمْ بِمِنْهَاجِ الحَقِيقَهْ

فَلَمْ أَجِدْ لَهُمْ مِنْهَا دَقِيقَهْ

323- بَلْ هَتَكُوا مَحَارِمَ الشَّرْعِ القَوِيمِ

فَنُكِّبُوا عَنْ الصِّرَاطِ المسْتَقِيمِ

وهكذا يمكن لنا تتبع الإحالات الحديثيّة التي وردت في منظومة "القدسية"، ومن حالاته على الحديث النبويّ- على سبيل الاستشهاد لا الحصر-قوله:[27]

201-فكُلُّ مَنْ يَرْغَبُ عَنْ سُنَّتِهِ

فليس عند اللهِ مِنْ أُمَّتِهِ

202-مَنْ حَادَ عَنْ سُنَّتِهِ فَقَدْ غَوَىَ

وَفِي غَيَابَاتِ الضَّلاَلِ قَدْ هَوَىَ

203-المصْطَفَى خَيْرُ وَسِيلةٍ إِلَى

إِلَهِنَا رَبِّ السَّماواتِ العُلاَ

فهذه الأبيات النظميّة تُحيل إلى الحديثين النبويين،هما:

عن سعيد بن أبيّ مريم أخبرنا محمد بن جعفر أخبرنا حميد بن أبي الطويل أنّه سمع أنس بن مالك يقول:جاء ثلاثة رَهْطٍ إلى بيوت أزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبيّ صلّى الله عليه وسلم...فقال:"أَنْتُمْ الّذِينَ قُلْتُمْ

كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لله ،وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لكنِّي أصومُ وأفطرُ وأصلِّي وأرقُدُ وأتزوّجُ النِّساءَ فمن رغِبَ عن سُنَّتِي فليْسَ مِنِّي"[28].

حدَّثَنَا عليُّ بن عيّاشٍ قال:حدثنا شعيب بن أبي حمزة،عن محمد بن المكتنز عن جابر بن عبد الله،أنَّ الرسول صلّى الله عليه وسلم قال:"مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ:اللَّهُم ربَّ هذه الدّعْوةِ التّامَةِ والصَّلاَةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ وابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ حَلَّتْ لهُ شَفَاعَتِي يوْمَ القيامَةِ"[29].

وقوله:[30] –أيضا–

263–وَذِكْرُ أَهْلُ الفَضْلِ وَالبَصَائِرْ

يُوَازِنُ الثّلاثةُ الدَّوَائِرْ

264–دَائِرَةُ الإسْلامِ والإيمان

فَوْقَهُمَا دَائِرَةُ الإحْسانِ

فإنّها تُحيل إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم،عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:جَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيهِ السَّلامُ يَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الإِسْلاَمِ وَالإِيمَان والإحسان وعلم السّاعة وأماراتها،فقال:"جَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَم يُعَلِّمُكُمْ ....دِينُكُمْ...قال:مَا الإِحْسَانُ؟قال:أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ ،فَإِنَّهُ يَرَاكَ..."[31].

وفي مثال آخر نجد عبد الرحمن الأخضري يستوحي صياغة البيت من نص الحديث الشريف،إذ يقول:[32]

14–إِذْ تُحْجَبُ المِرْآةُ بِالصّدَاءِ

عَلَى انْطِبَاع صَوَرَ الأَشْيَاءِ

يعبر هذا البيت على معاني قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إنّ القلوبَ تصْدأ كما يصْدأُ الحديدُ"[33]

استطاع عبد الرحمن الأخضري تضمين نص منظومته جملة من الأحاديث النبويّة من أجل استبطان الدلالات الروحية والسّلوكية المختلفة، وهذه المرجعيّة مع المرجعيّة القرآنية هما اللّذان حدّدا عوالم الدّلالة الصّوفية في منظومة القدسيّة.

3.3 التناص الصّوفي:

استثمر عبد الرحمن الأخضري النّصوص والأقوال الصّوفية المتعددة المشرب،لتقوية فكرة أو الاستشهاد على قضية يريد إثباتها، فيصبح البيت الشعري في حد ذاته رمزًا وجزءًا من المنظومة الدّلالية لخطابه الصّوفي،وبقدر ما يضيف لنصّ القدسيّة جماليةً،ويفجر لغته ويسهم في إثراء الفكرة وإنتاج الدّلالة[34].

وهكذا اقتبس عبد الرحمن الأخضري كثيرًا من الموروث الصّوفي، أثري به نص القدسيّة ومدّه بالدّلالة.

وتعد قضية الجمع بين الحقيقة والشّريعة من القضايا الكبيرة التي صرف إليها المتصوفة أنظارهم، محاولين بذلك الدّفاع عن أنفسهم، وردّ كثير من الشبهات التي تحوم حولهم، والتي تذهب إلى أن ما يصل إليّه الصّوفية من أفهام للشريعة ومقاصدها لا يمتُ بصلة لنصوص الشريعة[35].

ويحاول عبد الرحمن الأخضري –وفي مواضع متعددة من القدسية– دفع مثل هذه التّهم على أنّ كل ما يمكن أن يأتي به الصّوفي من معارف تتعارض مع أصل من أصول الشريعة لا يمكن الأخذ بها،وفي ذلك يقول: الجنيد[36] (ت:297 أو 298هـ): "الطرق كلها مسدودة على الخلق إلاّ على من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام" وقال أيضا:"من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يُقتدى به في هذا الأمر،لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة"، أورد عبد الرحمن الأخضري[37] مايلي:

168–مَنْ كَانَ فِي نَيْلِ الكَمَالِ رَاجِياً

وَعَنْ شَرِيعَةِ الرَّسُولِ نَائِياً

169–فإنّهُ مُلبَّسٌ مَفْتُونُ

وَعَقْلُهُ مُخْتلٌ مجنونٌ

170–هَذَا مُحَالٌ لاَ يَصِحُ أَبَدًا

لِأَنَّ سَيِّدَ الوَرَى بَابُ الهُدَى

174–وَاعْلَمْ بِأَنّ الخَارِقَ الرَبَّانِي

لَتَابِعُ السُّنَةِ وَالقُرْآنِ

175–وَالفَرْقُ بَيْنَ الإِفْكِ وَالصَّوَابِ

يُعْرَفُ بِالسُّنَّةِ وَالكِتَابِ

176–وَالشَّرعُ مِيزَانُ الأُمُورِ كُلِّهَا

وَشَاهِدٌ لِأَصْلِهَا وَفَرْعِهَا

وبهذا فهو يقرّ صراحة في هذه الأبيات،أنّ كل حقيقة لا تنهض بها شريعة لا يمكن قبولها من صاحبها أيّا كان، ولذا يقول الجنيد: "مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة ويقول:علمنا هذا مشيدٌ بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم".

وفي مقام آخر يستعير عبد الرحمن الأخضري مصطلح"الصبا" من ابن الفارض الذي يقول:

1– نَعَمْ بالصَّبَا قلبي صبَا لأحِبَّتِي

استفاد عبد الرحمن الأخضري من معنى"الصَبَا" في هذا البيت لتعضيد فكرته التي يؤمن بها والتي تتعلق بحبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فهو بمثابة"الريح التي جاءت بريح يوسف إلى يعقوب عليهما السلام هي الصّبا ، ولأجل ذلك ترى المحبّين يكثرون من ذكرها في أشعارهم"[38]، وبهذا أخذت دلالة الصّبا عند الأخضري بعدا قرآنيًا،هو البشرى،ولأن محمد صلى الله عليه وسلم بعث مبشرًا،مصادقًا لقوله تعالى:﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (8)﴾[39]، أي مبشرًا لهم في الدنيا بالجنة،وفي هذا يقول الأخضري:[40]

204–صَلى عَلَيْهِ اللهُ مَا هَبَّتْ صَبَا

وَمَا إِلَيْهِ قَلْبُ عَاشِقٍ صَبَا

وقد وردت في منظومة "القدسية" نصوص وأقوال صوفية أخرى،نخصها بالذّكر في هذا الجدول الآتي:

رقم البيت	منظومة القدسية	البنى الاقتباسية والمرجعية الصوفية
01	يَقُولُ رَاجِي رَحْمَةِ المُقْتَدِرِ مُذْنِبُ العَبْدُ لَذَلِيلُ الأَخْضَرِي	يَقُولُ رَاجِي رَحْمَةَ الغَفَارْ وَأَحْمَدُ بَنْ أَحْمَد الخَضَارْ البَرْنَسِي الأَصْل ثُمَّ الفَاسِي المشْتَهِرْ زَرُوقُ كَبْن النَّاسِ أرجوزة في عيوب النفس لأحمد زروق (ت:988هـ)
-15-14	إِذْ تُحْجَبُ المِرْآةُ بِالصَّدَاءِ وَمَنْ أَجَادَ الصَّقْلَ بِالمجَاهَدَهْ	"أما الصقيل الأول ففيه بطول الصقل،إذ لبس الصقل في إزالة الصدأ عن المرآة كشعله في عمل أصل المرآة..."كتاب التوبة،ص:1083 إحياء علوم الدين.
-20 -21	لَكِنَّ أَنْوَاعَ المجَاهِدَاتِ بِحَسَبِ المقَامِ للسَّاداتِ تُقَاءٌ وَاسْتِقَامَةٌ وَكَشْفُ	مجاهدة التقوى ومجاهدة والاستقامة ومجاهدة هذا الكشف. ينظر:شفاء السائل في تهذيب المسائل،ابن خلدون ص: 123-126.
-115 -116 -117	فَأَيْنَ مَنْ أَلْقَى نِعَالَ النَّفْسِ إِذَا حَلَّ فِي شَاطِئِ وَادِ القُدْسِ وَآنَسَ النُّورَ بِذَاكَ الوَادِي **إِنَّكَ بِالوَادِ المُقَدّسِ طُوَى** فَيَكْتَسِي مِنْ حُلَلِ النُّورِ قُوَى	فِي قُدْسِ الوَادِي،وَفِيه خُلعتُ وخَلْ عَ نَعْلِي عَلَى النَادِي،وصُدتُ بخلعتي وَآنسْتُ أَنْوَارِي،فكنتُ لها هُدَى وَنَاهِيكَ مِن نفسٍ عليها مضيئة ديوان ابن الفارض،لوائح الجنّان وروائح الجِنان "نظم السلوك"ص:82.
-180	وَرُبَّمَا خَامَرَهُ التَّمَلِّي فَتَعْتَرِيهِ صَعْقَة التّجَلِّي	وَلَوْ أَنَّ مابي بالجبالِ،وكانَ طُور رُسِينا بها،قبلَ التَّجلّى،لدُكَّتِ ديوان ابن الفارض"نظم السلوك"،ص:27.
-203	المصْطَفَى خَيْرُ وَسِيلَةٍ إِلَى إِلَهَنَا رَبِّ السَّماواتِ العُلاَ	"لا يشفع أحد عند الله أحد إلا بإذنه،وقد أمر بابتغاء الوسيلة إليه..وقيل إتباع رسول الله..." قواعد التصوف،أحمد زروق،ص:94،قاعدة(102).
-229	وَاخْرِقْ طِباقَ السَّبْعةِ الأطوارِ لِكَيْ تَرَى دَقائِقَ الأَسْرَارِ	وأسستُ أطوارِي،فناجيتُني بها ، وقضيتُ أوطاري،وذاتي كليمتي ديوان ابن الفارض"نظم السلوك"،ص:82. الأطوار بلغة الصّوفيين سبعة: الطبع والنفس والقلب والروح والسرّ والخفيّ والأخفى.

يلاحظ من هذا الجدول أن عبد الرحمن الأخضري وظف معجماً صوفيا (الحجاب والمرآة، والصقل، والمجاهدة، والكشف، والتقوى، والاستقامة، وآنس النور، وصعقة التجلي، والوسيلة والأطوار السبع، ودقائق الآسرار)، يستمد قوته وحيوته من تجارب الصَوفيين الرَوحية.

وعبر المعجم عن كثير من الدلالات والرموز والأغراض،منها:

-تحويل المحسوس إلى اللامحسوس،حيث يتحول كل شيء إلى إشارات تجعل القارئ أمام معجم خاص.

5. خاتمة:

تجلى تشكيل الخطاب الصّوفيّ لدى عبد الرحمان الأخضري في المكون التاريخي المتمثل في أصالة تراثه الذي يمثل الجذور التي أفرزته، وفي تفاعله مع بذور الخطابات الصّوفيّة الوافدة من جهة المشرق وبلاد الأندلس.

ولذا شكّل عبد الرحمان الأخضري مرجعية الخطاب الصّوفيّ في القدسية على تحقيق مبدأ المصالحة بين الشريعة والحقيقة كأولوية، وهذا ما يعرف بالتّصوف العملي والأخلاقي.

استلهمت منظومة القدسية مادتها الصّوفيّة من الأصول القرآنية والحديث الشّريف ومن المتصوفة المتأخرين أمثال الجنيد والقشيري وابن الزروق.

6. قائمة المراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1- ابن منظور(ت:711ه)، لسان العرب، دار صادر ، ط:03، بيروت- لبنان، 1994، مج:07.

2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ، دار الغرب الإسلامي،ط: 01، بيروت، لبنان 1998، ج: 02.

3- أبو عبد الله الشيخ حسين بن محمد السَعيد الورثلاني (ت:1193ه)،الكواكب العرفانيَة وشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية ، تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري،دار الخلدونية للنشر والتوزيع ،2012.

4- أبو عبد الله القضاعي، مسند الشهاب، تح:حمدي بن عبد الله المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة،ط:01، بيروت،1986، رقم الحديث: 1178،ج:02.

5- أبو علي الحاتمي، حلية المحاضرة في صناعة الشعر، تح: جعفر الكتابي، دار الرشيد للنشر، د.ط، 1979، ج02.

6- أبو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري(ت:256ه)، صحيح البخاري، تح:محمد فؤاد عبد الباقي،دار ابن الجوزي، القاهرة، ط:01، كتاب النكا،باب الترغيب في النكاح،2010 ،رقم الحديث 5063.

7- بدر الدين الحسن بن محمد البودني وعبد الغني بن اسماعيل النابلسي، شرح ديوان ابن الفارض ، تح، وجمع:محمد عبد الكريم النّمري والفاضل رشيد بن غالب اللبناني،منشورات محمد علي بيضون، ودار الكتب العلمية،ط:01،بيروت، لبنان، 2002، ج:01-02.

8- خير الدين الزركلي، الأعلام ، دار العلم للملايين، ط:15، بيروت، لبنان، 2002، ج:03.

9- ديوان عبد الرحمن الأخضري(ت:981ه)، منظومة "القدسية"، تح:عبد الرحمن تبرماسين، منشورات أهل القلم،ط:01،الجزائر،2009.

10- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية والترجمة والنشر، ط:02، بيروت، لبنان، 2002، ص:14.

11- عبد الرحمن الأخضري حياته وآثاره، تح: عبد الرحمن تبرماسين، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة باتنة، 1991.

12- عبد الكريم الجبلي، الإنسان كامل في معرفة الأواخر والأوائل، دار الرشاد ، ط1، الدار البيضاء-المغرب، 1997.

13- عقيل عكموش العنبكي، المقاربة اللغوية في الخطاب الصوفي الفتوحات المكيّة أنموذجا، ،الانتشار العربي،ط:01،بيروت ،لبنان ،2013.

14- كتاب الآذان،باب الدّعاء عند النّداء،رقم الحديث 614.

15- كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث37.

16- محمد بنعمارة، الصوفية في الشعر المغربي المعاصر مفاهيم وتجليات الفكر المغربي، دراسات ومراجعات نقدية في تاريخ الفلسفة والتصوف بالمغرب، المدارس للنشر والتوزيع،ط:01، الدار البيضاء- المغرب ،2000.

17- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التّناص)، المركز الثقافي العربي، ط01، الدار البيضاء، 1986.

18- Voir L'intertextualité ,Mémoire De La Littérature ,TaiphaineSamoyault ,Amand Colin ,Paris ,2005

7. الهوامش:

[1]- أبو علي الحاتمي، حلية المحاضرة في صناعة الشعر، تح:جعفلا الكتاني، دار الرشيد للنشر، د.ط، 1979، ج02،ص:28.

[2]- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التّناص)، المركز الثقافي العربي، ط.01، الدار البيضاء، 1986، ص:121.

[3]- أبو عبد الله الشيخ الحسين بن محمد السعيد الورثلاني (ت:1193ه)، الكواكب العرفانية وشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسيّة، ص:305.

[4]- المصدر نفسه،ص:305.

[5]- ينظر: عبد الرحمن الأخضري حياته وآثاره، تح: عبد الرحمن تبرماسين، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة باتنة، 1991، ص:04.

[6] - المصدر نفسه،منظومة"القدسية".

[7]- أبو عبد الله الشيخ الحسين بن محمد السعيد الورثلاني (ت:1193ه)، الكواكب العرفانية وشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسيّة، ص:255.

[8] - المصدر نفسه، ص:102- 103- 104.

[9] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ، دار الغرب الإسلامي،ط: 01، بيروت، لبنان، 1998، ج: 02، ص:501.

* "Le Texte Et L'intertexte Sont Des Pôles Inséparables"

[10]Voir L'intertextualité ,Mémoire De La Littérature ,TaiphaineSamoyault ,Amand Colin ,Paris ,2005,P18.

[11]– ديوان عبد الرحمن الأخضري، منظومة القدسيّة.

[12]– سورة الأحزاب ،الآية:56.

[13]– أبو عبد الله الشيخ حسين بن محمد السَعيد الورثلاني (ت:1193هـ)،الكواكب العرفانيَة وشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية ، تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري،دار الخلدونية ،للنشر والتوزيع ،2012،ص:148.

[14]– ديوان عبد الرحمن الأخضري ،منظومة القدسية.

[15]– سورة الشمس،الآياتان:09، 10.

[16]–ديوان عبد الرحمن الأخضري ،منظومة القدسية.

[17]– سورة النازعات،الآية:40.

[18]– ديوان عبد الرحمن الأخضري،منظومة القدسية.

[19]–أبو عبد الله الشيخ الحسين بن محمد السَعيد الورثلانيَ (ت:1193هـ)، الكواكب العرفانية وشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسَية، ص:256.

*– المقدس معناها المطهر.*الجمال:نور القدسي فائق من جمال الحضرة الإلهية.ينظر: ممدوح الزوبي، معجم الصَوفيَة، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع،ط:01،بيروت،د.ت، ص:111.

*– طوى معناها اسم واد بالشام عند الطور.*الجلال:هو شدة ظهور الجمال،ينظر المرجع نفسه،ص:109.

[20]– سورة طه،الآيات:10و11و12.

[21] – أبو عبد الله الشيخ الحسين بن محمد السَعيد الورثلاني(ت1193هـ)، الكواكب العرفانية وشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسيَة، ص:256.

[22] – سورة الأعراف،الآية:143.

[23]- ديوان عبد الرحمن الأخضري، منظومة القدسية.

*- طور:إسم الجبل الذي كلم الله فيه موسى عليه السلام.

[24]-ينظر: عبد الكريم الجبلي، الإنسان كامل في معرفة الأواخر والأوائل، دار الرشاد ، ط1، الدار البيضاء-المغرب، 1997، ص:88.

* - هو أبو بكر محمد بن علي محمد بن عبد الله الطائي ابن العربي الحاتمي أطلق عليه أتباعه"الشيخ الأكبر" وكان يعرف بالأندلس باسم"ابن سراقة" أما في المشرق فكان يعرف بابن عربي من غير أداة التعريف تمييز له عن القاضي أبي بكر بن عربي المتكلم والفقيه. ولد في عام 560ه الموافق لـ 1165م بمرسية في بيت الجاه وثروة وعلم. ثم انتقل إلى أشبيلية مع أهله للعلم وحفظ القرآن ثم ذهب إلى قرطبة حيث درس فقه "ابن حزم الأندلسي الظاهري" وقد التقى مع الفيلسوف "ابن رشد"، فيعرف عنه أنّه كان كثير الارتحال. فاستقر به الحال بدمشق وتوفي بها عام 638ه الموافق لـ 1240م.

وله مصنفات كثيرة ؛ منها:

1-الفتوحات المكيّة؛

2-فصوص الحكم؛

[25]- ينظر: محمد بنعمارة، الصوفية في الشعر المغربي المعاصر مفاهيم وتجليات الفكر المغربي، دراسات ومراجعات نقدية في تاريخ الفلسفة والتصوف بالمغرب، المدارس للنشر والتوزيع،ط:01، الدار البيضاء- المغرب ،2000،ص:173.

[26]- أبو عبد الله الشيخ الحسين بن محمد السعيد الورثلانيَ (ت:1193ه)، الكواكب العرفانية وشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسيَة، ص:391.

* ميْنِ: شك ،ينظر: الكواكب العرفانية وشوارق الأنسيّة، ص: 281.

[27]- ديوان عبد الرحمن الأخضري، منظومة القدسية

[28]- أبو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري(ت:256ه)، صحيح البخاري، تح:محمد فؤاد عبد الباقي،دار ابن الجوزي، القاهرة، ط:01، كتاب النكا،باب الترغيب في النكاح،2010 ،رقم الحديث 5063،ص:621.

[29]- ينظر: المرجع نفسه، كتاب الآذان،باب الدّعاء عند النّداء،رقم الحديث 614،ص:83.

[30]- ديوان عبد الرحمن الأخضري، منظومة القدسية.

[31] – المصدر السابق،كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث37،ص:16.

[32] – ديوان عبد الرحمن الأخضري، منظومة القدسية.

[33]– أبو عبد الله القضاعي، مسند الشهاب، تح:حمدي بن عبد الله المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة،ط:01، بيروت،1986، رقم الحديث: 1178،ج:02، ص:198.

[34]– ينظر: عقيل عكموش العنبكي، المقاربة اللغوية في الخطاب الصوفي الفتوحات المكيّة أنموذجا، ،الانتشار العربي،ط:01،بيروت ،لبنان ،2013،ص:71.

[35]– ينظر المرجع نفسه ، ص:77.

[36]– أبو القاسم عبد الكريم القشيري(ت: 465هـ)، الرسالة القشيرية، ج:01،ص:79.

[37]– ديوان عبد الرحمن الأخضري،منظومة القدسيّة.

[38]– بدر الدين الحسن بن محمد البودني وعبد الغني بن اسماعيل النابلسي، شرح ديوان ابن الفارض ، تح، وجمع: محمد عبد الكريم النّمري والفاضل رشيد بن غالب اللبناني،منشورات محمد علي بيضون، ودار الكتب العلمية،ط:01،بيروت، لبنان، 2002، ج:01-02،ص:208.

[39]– سورة الفتح، الآية:08.

[40]– ديوان عبد الرحمن الأخضري، منظومة القدسيّة.